الاختلالات المنهجية
في توظيف أداة صحيفة الاستبيان

أ. د. أزهار صبيح غنتاب
جامعة بغداد . كلية الإعلام
قسم الصحافة

هناك اختلالات منهجية، يمكن وصفها بالبنيوية، غالباً . وربما كثيراً . ما تشوب عملية بناء صحيفة استبيان آراء الجمهور، واختبار صدقها، ومن ثم اعتمادها أداة بحثية؛ بغية الوصول المنهجي السليم والأمين، إلى نتائج علمية صحيحة ودقيقة.

سنعمد في هذه الورقة العلمية، إلى تشخيص تلك الاختلالات . أو بعض منها . وذلك عبر بلورتها على النحو الآتي:

- عدم مراعاة التسلسل المنطقي في ترتيب أسئلة صحيفة الاستبيان الموجهة إلى جمهور المبحوثين، على نحوٍ يأخذ تسلسل متغيرات عنوان البحث بنظر الاعتبار العلمي.

- اعداد صحيفة استبيان آراء الجمهور على نحوٍ لا يأخذ تساؤلات البحث وأهدافه بعين الانتباه، ما يفضي إلى تضمين الصحيفة، أسئلة غير منتجة علمياً، وأخرى غير ذات صلة بتلك التساؤلات وانعكاساتها في أهداف البحث.

- تجاهل مؤشرات الإطار النظري للبحث، وما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج علمية، عند صياغة أسئلة صحيفة الاستبيان، ما يجعلها أداة لقياس ما ليس له صلة وثيقة بمتغيرات البحث، ومن ثم عدم صلاحيتها وانتاجيتها العلمية.

- الميل الواعي . أو غير الواعي . إلى صياغة أسئلة الاستبيان على نحوٍ (إيحائي) يفضي بالمبحوثين إلى الإجابة عنها باتجاه معين؛ ما يؤثر . سلباً . في دقة النتائج العلمية المترتبة على تحليل تلك الإجابات، فضلاً عن صحة تفسير دلالاتها.

- أن تتضمن صحيفة الاستبيان أسئلة موجهة إلى المبحوثين من الجمهور العام، في الوقت الذي لا يملك أو / وغير مؤهل للإجابة عنها إلا المبحوثين من الخبراء الاختصاصيين في حقل علمي أو مهني معين.

- صياغة أسئلة الاستبيان أو بعضها على نحوٍ مزدوج، إذ يتضمن السؤال منها سؤالين أو أكثر، ما يؤدي . في أغلب الأحيان . إلى إجابة المبحوث . عمداً أو سهواً . عن سؤال من دون سواه من الأسئلة الأخرى المتضمنة، الأمر الذي يعني عدم التحصل على الإجابات المطلوبة عن أسئلة الاستبيان التي يعتقد الباحث إنها كافية ووافية؛ لتحقيق أهداف بحثه.

- توجيه أسئلة عامة غير محددة . وليست ذات صِلة . بتجربة المبحوثين الشخصية المتمثلة في: التعرض لوسائل الإعلام على اختلافها، أو متابعة رسائلها، أو طبيعة استخداماتهم لها، أو ماهيّة دوافعهم الكامنة وراء تلك الاستخدامات، فضلاً عن الإشباعات المتحققة منها.

- تداخل فئات / فقرات الأسئلة . التي تتضمنها صحيفة الاستبيان . الموجهة إلى جمهور المبحوثين، وعدم استقلالية بعضها عن بعض، الأمر الذي يخل بالنتائج المترتبة على تحليل إجابات المبحوثين عنها، ومن ثم تفسير دلالاتها العلمية.

- عدم الاهتمام بتوافر شروط السلامة اللغوية والصحة الإسلوبية في صياغة أسئلة صحيفة الاستبيان، ما يؤدي . في أحيان ليست قليلة . إلى غموض المعنى، أو لبس في القصد المُراد من السؤال.

- افتقار العديد من صحائف الاستبيان إلى تعريفات بأهم المفاهيم الواردة في أسئلته وفقراته، والتي قد لا تكون واضحة على نحو محدد للمبحوثين، ما يؤثر . سلباً . في طبيعة إجاباتهم عن تلك الأسئلة أو الفقرات، ومن ثم في النتائج التي يتوصل إليها.

- الاستسهال الواضح في اعتماد الاصطلاحات العلمية عند صياغة أسئلة الاستبيان، إذ غالباً ما يُصار إلى استعمال تلك الاصطلاحات وتوظيفها على نحوٍ غير دقيق علمياً وسياقياً.

- تضمين صحيفة الاستبيان نوع من الأسئلة التي تُصادر على المطلوب من إنجاز البحث، ويُقصد منها تلك الأسئلة التي تطلب من (المبحوث) أن يُقدم هو إجابة واحدة وشمولية ونهائية عن تساؤلات البحث، التي تتطلب الإجابة عن كل واحدة منها، طرح عدد من الأسئلة، واستحصال الإجابات عنها، بغية الخروج لاحقاً بنتيجة تمثل إجابة عن تساؤل معين من تساؤلات البحث.

- عدم أخذ اختصاص البحث ومتغيرات عنوانه بنظر الاعتبار العلمي عند إجراء اختبار صدق الأداة البحثية، إذ يحدث أن يُسند تحكيم صحيفة الاستبيان إلى خبراء ليسوا من ذوي الاختصاص / الاختصاصات الدقيقة للبحث، ما يفضي إلى عدم صحة تحكيمها، ومن ثم صدقها.

- التعامل مع إجراء اختبار صدق أداة البحث على طريقة "إسقاط الفرض" إذ يعمد الباحث إلى إهمال ملاحظات الخبراء المحكمين وتجاهل تعديلاتهم المقترحة على أسئلة صحيفة الاستبيان وفئاتها وفقراتها.

- انعدام . أو ضعف . الأمانة العلمية للباحث في عملية توزيع صحيفة الاستبيان . عددياً ونوعياً . على جمهور المبحوثين المستهدف، الأمر الذي يعني عدم صدق إجراءات البحث المنهجية، ومن ثم التشكيك في صحة النتائج التي يسفر عنها.